نظام
الحكم
الأصلح

الباب الأول

المشروع الإنساني

القرآن :

القرآن هو المرجعية الأساسية المتفق عليها للمؤمنين برسالة الإسلام الخاتمة، وهو مرجعيتنا الأساسية في هذا المجهود ، وعن بعض مما جاء في القرآن عن القرآن :

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان] .

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ ﴾ [هود] .

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ [يوسف] .

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩ ﴾ [ص].

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢١ ﴾ [الحشر] .

﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝٣١ ﴾ [الرعد] .

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة:48] .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧ ﴾ [القمر] .

﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩ ﴾ [الكهف] ، ويمكن تقدير كمية المداد اللازمة لكتابة المصحف وأعداد الأوراق والمصاحف التي يمكن كتابتها بكمية مداد بضعف ماء البحر ، وهي أعداد مهولة

يحتاج تصفحها أو عدها لحياة أعداد كبيرة من البشر ، ومما يشير إليه ذلك : الاختصار والتركيز على المسائل والجوانب شديدة الأهمية مما لا يمكن تجاوزه أو إغفاله، مما يرفع من أهمية كل كلمة أو حرف بما يناظر نسبة المداد السابقة .

﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ ﴾ [النساء] ، الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى شهادة الملائكة ، لكن قد يكون في ذلك شكل من التوثيق والتعلم ليتبعه الإنسان .

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام] .

و مما جاء في القرآن عن القرآن أنه عربي مبين وميسر .. ، وهو المصدر الأول للمعلومات عن الله سبحانه وتعالى والمشروع الإنساني والمسيرة البشرية وطبائع وخصائص الإنسان والقوانين التي تحكمه.

و من الآيات التي تفيدنا فيما نحن فيه : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [التكوير]، و﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ [هود] ، وما جاء فيه من تفاصيل عن الله سبحانه وتعالى والمشروع الإنساني والمسلمين واليهود وماضي ومستقبل المسيرة البشرية .. .

الله سبحان وتعالى :

بعض مما جاء في القرآن عن الله سبحانه وتعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر] .

﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس] .

﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود] .

﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا۟ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء] .

﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [آل عمران].

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [غافر] .

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾

[الإسراء] .

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر] .

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنعام] .

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر].

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [الحج:47].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف] ، في هذه الآية شهادة بشرية على وجود الله سبحانه وتعالى ، يمكن أن تخضع للإجراءات المتعارف عليها في المحاكم للتأكد من مصداقيتها ، وبما أن القرآن أيضا وحي ، فإنه يمكن البحث في مصداقيته وإعجازه ، ويعتمد قبول الشهادة أو رفضها على النتيجة ،و في هذا العصر ظهر ما يؤكد علميا على مصداقيته وإعجازه وأنه فوق قدرات البشر ،إلا أن ذلك لا يتعارض مع حرية الإنسان في من شاء فا ليؤمن ومن شاء فليكفر .

و نفخ الله سبحانه وتعالى من روحه في الإنسان ، وقد يعني ذلك منحه بعض من هذه الصفات ، مثل العقل المميز وبعض من قدرات الخلق والإبداع في بعض المجالات والحرية والإرادة والخلود النسبي .

الله سبحانه وتعالى خالق ومالك كل شيء ، ويفعل ما يريد ، ولو شاء الله لما

اقتتلوا ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ومع كمال قدرة الله سبحانه وتعالى وحريته وإرادته .. ، وتأكيدا على تأسيس كل ما في هذا الكون على النظام والدقة .. ، فقد أكد الله سبحانه وتعالى بأنه على صراط مستقيم ، وأنه كتب على نفسه الرحمة والعدل .. ، وقد يأذن بالشفاعة لمن يشاء ..و هو لطيف بتدبيره لما يشاء كما جاء في نهايات سورة يوسف عليه السلام .

المشروع الإنساني :

جاء في القرآن الكريم عن خلق الإنسان والسموات والأرض والملائكة والجن والشياطين والدواب ، وغيرهم .. وما لا نعلم ، وإذا جاز التعبير كلها مشاريع من خلق الله عز وجل -- ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام] ، وقد تدعو الحاجة لمعرفة ما نستطيع عن المشروع الإنساني ومكوناته وخصائصه و النظم والقوانين التي تحكمه وعلاقته بالمشاريع الأخرى ، وماضي وحاضر ومستقبل المسيرة البشرية ، ومالك وخالق الكون .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج] .

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [المؤمنون] .

﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن

تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [ص] .

﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء] .

﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحجر] .

و قد يكون مما خص به الله سبحانه وتعالى الإنسان ، الذي كرمه ونفخ فيه من روحه وفضله على كثير ممن خلق : مستوى العقل المميز المبدع الخلاق ، والحرية والإرادة والخلود النسبي ، ما دامت السموات والأرض ..، ومن ذلك ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [المدثر] ، وإن كان في ذلك ما يثبت حرية وإرادة للإنسان ، إلا أنها مقيدة : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الإنسان] ، وقد يجد البعض من الآيتين الكريمتين ما قد يشير بطرف خفي إلى ما يشبه تناسب إرادة الإنسان إلى إرادة الله سبحانه وتعالى وبعلم الإنسان وحكمته إلى علم الله سبحانه وتعالى وحكمته، وقد تكون على نفس هذه المقارنة الافتراضية ، وتعالى الله علوا كبيرا ، أن يكون خلود الإنسان المرتبط بدوام السموات والأرض، منسوبا إلى خلود الله سبحانه وتعالى المطلق .

﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] . والإكراه هنا للإيمان بالله سبحانه وتعالى ، وقد يكون الإكراه مجرد الدعوة ببعض التكرار أو الإلحاح ،لأن الرسول محمد ﷺ لا يملك في ذلك الوقت قوة وأدوات لإجبار الناس على فعل ما يريدون ،و لذلك قد يكون ما جاء في

هذه الآية الكريمة يتضمن أقوى الإشارات على المستوى العالي لأهمية الالتزام الكامل والشامل والمقدس بحرية وكرامة الإنسان أو الحدود المحرمة التي لا يسمح الله سبحانه وتعالى لأي من خلقه بالتفريط فيها أو تجاوزها، وقد يمكننا الاستنباط من ذلك : أن حرية وإرادة وكرامة الإنسان من أهم الأساسات واللبنات التي ينبني عليها المشروع الإنساني ، وتميزه عمن سواه مما خلق الله سبحانه وتعالى ، والله أعلم .

بدأ المشروع الإنساني بخلق آدم ومنه زوجه ، وبدأت حياتهم في الجنة ثم انتقلوا إلى الأرض حيث توفاهم الله ، أما ذريتهم فقد كانت لهم حياة سابقة من ظهورهم حيث أشهدهم الله بأنه ربهم ، ثم ماتوا الموتة الأولى ، ثم يبعثهم الله لحياتهم الدنيا بميلادهم على الأرض ليعيشوا في كبد وحزن ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ ﴾ [البلد] ، ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر] ، لحين موتهم الثاني ، ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ [غافر]، ويبعثهم الله للمرة الأخيرة لحسابهم وثوابهم وعقابهم ودخولهم الجنة أو النار ، ليعيشوا حياتهم الآخرة ، ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق] ، ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود] .

آدم عليه السلام :

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا

بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

﴿ وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا ﴿١١٥﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه] ، ومع مواصفات الجنة المعلومة للذين آمنوا ، وهي أعلى طموحاتهم في الدار الآخرة وحياتهم الأبدية ، إلا أن الشيطان أغواه وأطمعه فيما صوره له بأنه أعظم منها ، وهو شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ، وبذلك تسببت أوهام شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى في انقياد آدم وزوجه لإبليس وخروجه من الجنة وعصيان أمر ربه الذي خلقه وأكرمه وسواه بيده ونفخ فيه من روحه وحذره من عدوه .. ، وهذه الحالة التي قد نحسبها شديدة الانحراف والغرابة هي طبيعة وجبلة الإنسان التي خلقه الله عليها، وعلى ذلك يمكن تصور سلوك من هم دون هذا المستوى من الإيمان وتعاملهم مع مصالح الآخرين !! فما أعذر أبو البشر ورسول الله آدم لأبنائه وأسرته من بعده في كل ما يفعلون ويتركون ، وما أهون أمر ذريته من بعده عند شياطين الإنس والجن وأتباعهم ،و ما زالت هذه هي مكونات ومواصفات وخصائص الإنسان التي علينا التعامل معها في استنباط مكونات نظام الحكم في الإسلام ، والله يفعل ما يريد .

الطين والصلصال والحمأ المسنون من مكونات الأرض ، وهي نفس المواد التي خلق الله سبحانه وتعالى منها الإنسان والحيوانات الضارية التي سبقته في الحياة عليها ، وفي ظن الملائكة أن الإنسان ويسفك الدماء كما ما تفعل هي ، ولم

ينف الله سبحانه وتعالى عن الإنسان ذلك ، ولكن ذكرهم بأنه يعلم ما لا يعلمون ، وقد يكون من ذلك ما ادخره الله سبحانه وتعالى من رسالات سماوية ورسل وكتب مقدسة وعلوم للإنسان ليتجنب الفساد في الأرض وسفك دماء .

الإنسان :

عند المسلمين أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم ، ولم يتطور من مخلوقات أُخرى .

في سورة الإنسان : ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ ، سميعا بصيرا من أسماء الله الحسنة ، وله أن يختار في أن يكون شاكرا أو كفورا.

سواء الله سبحانه وتعالى آدم بيده الكريمة ونفخ فيه من روحه ، وقد يكون من نفخ الله سبحانه وتعالى من روحه في الإنسان منحه العقل المميز وبعض من قدرات الخلق والإبداع في بعض المجالات والحرية والإرادة والخلود النسبي ...، وعن سلالة آدم من بعده فهي :

﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥ ﴾ [الإسراء] .

﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ٨﴾ [الشمس] .

﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾ [النساء:29] .

﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦﴾ [ق] .

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء] .

﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ٩ وَلَئِنۡ

أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [هود] .

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف]، وما جاء في سورة البقرة ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ والحج ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ ، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك] ، وعن الحياة الثانية بعد الموتة الثانية : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق]، مما قد يفيد بالتباين الكبير في تصورنا لمستوى حياتنا الدنيا مع ما قبلها وبعدها من حياة ، وقد يوجد في بعض مما نجهل من أسرار وفوائد وخفايا النوم والأحلام ما قد يفيد يوما ما في هذا الجانب ،و عن الخلود النسبي : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود]، وكذلك الخلود في النار ، وفي هذا العصر توفر نسبية البرت أنشتاين معلومات عن المادة والطاقة والزمن والسرعة والمسافات الكونية... مما يلقي المزيد من الضوء على الكون والإنسان وخلوده النسبي مما لم يكن متاحا في الماضي، ومع ذلك : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [لقمان]، و ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر]، و« أكبر » مرتبطة بالمادة والحجم ، ولكنها لا تعني بالضرورة الأكرم والأهم والأخطر والأفضل .. ، والناس تشمل الرجال والنساء ، وقد بدأ الخلق بآدم ثم زوجه ، وكان صراع ابني آدم الدامي بسبب النساء ، ومن البداية ظهر بعض الاختلاف والتباين في بعض خصائص ووظائف الجنسين ، ومع ذلك فقد أنزل الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات:13]، وهو ما ينفي ويمنع كل

أشكال التمييز المبني على الجنس والعرق واللون ... ، وهذا لا يتعارض مع جاء من أحكام عن الزواج والميراث ... .

ومن صفات وخصائص الإنسان :

﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء:128] .

﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر] .

﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون].

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان] .

و من القوانين التي تتحكم فيه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق]، وقوانين للمعالجات ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:291] ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى الإنسان خليفته في الأرض : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: 29] ، وكرم الله سبحانه وتعالى بني آدم وحملهم في البر والبحر و فضلهم على كثير من خلق ه ،و كفل لهم الحقوق والحريات والفكر والتفكر .. ، وعلم الإنسان ما لم يعلم ، وخص بعض الأفراد في المجتمعات الإنسانية بقدرات عقلية مميزة لقيادة التطور والتحديث الدائم وحل الخلافات والتنازعات ، ووفر المقومات والقدرات والأسباب والمعلومات التي يحتاجها الأفراد والجماعات الإنسانية لحياة مفيدة وكريمة وسعيدة على الأرض ، بما يحقق له م الخلافة في الأرض و التكريم والتفضيل ويجنبه م المهانة والإذلال ، ومن وسائل وآليات تحقيق ذلك وتنفيذ المشروع الإنساني : إرسال الله سبحانه وتعالى لبعض من عبادة وخصهم بتبليغ رسالاته وتشريعاته وتعليماته .. ، كما أنزل عليهم الصحف والكتب المقدسة، وحذرهم من كيد الشيطان .

شيطاين الجن والإنس :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الأعراف] ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنعام] ، قد يكون الشيطان من الإنس أو الجن ، وهو شيطانا بسلوكه .

﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الأنفال] .

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم] .

﴿ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء] .

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة] .

﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الأنعام] .

الخلاف :

خلق الله سبحنه وتعالى الإنسان وسواه بيده الكريمة ونفخ فيه من روحه ، والراجح أن ذلك يعني منح الإنسان قدر من الحرية والإرادة المنقوصة والخلود النسبي ، ونحن نعلم أن الله سبحانه وتعالى فعال لما يريد بحرية وإرادة كاملة ، مما يعني وكما نشاهد ، أن لدى الإنسان شكل ومستوى من الحرية والإرادة

المنقوصة ، وكما نعلم أنه إذا تعددت الآلهة لحدث الخلاف بينها مما يعنى أن وجود بعض المقادير من الحرية والإرادة لدى الإنسان تتولد منه مقادير مناظرة من الخلاف والتنازع ، وأن كمال حرية وإرادة الله سبحانه وتعالى يلغي بالضرورة فرضية احتمال وجود اله آخر على نفس المستوى من الحرية والإرادة وذلك لأسباب قد يكون منها : قد يرتفع مستوى الخلاف والتنازع بينهما لمرحلة استحالة تزامن وجود الاثنين معا ، ومن ذلك قد يمكننا إدراك خطورة ما خص الله سبحانه وتعالى به الإنسان من شكل ومستوى من الإرادة والحرية على أمنه وحياته، ما لم تتوفر المعلومات والوسائل الكافية للتعامل مع كل مستويات الخلاف والتنازع .

بدأ الخلاف مع بدايات حياة ابني آدم على الأرض ، و جاء في القرآن عن الخلاف في الأنعام (164) ، يونس (19) و(93) ، وفي سورة هود : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ ، وقد تكون « لذلك خلقهم » في هذه الحالة مرادفة إلى « كذلك خلقهم » أو غير ذلك ، وعلى كل حال ، فإن رسالة الإسلام الخاتمة قد أولت الخلاف والتنازع كخاصية أو صفة وحالة دائمة وملازمة للأفراد والجماعات الإنسانية ، حظه الوافي من الأهمية كمولود طبيعي لحرية وإرادة وكرامة الإنسان التي يجب عدم التفريط فيها .

كانت الرسالات السماوية الأولى مقيدة بالزمان والمكان والقوم ، وكان الارتباط بين المحاور محددا وجامدا ، واستمرت استحالة التعايش السلمي بسبب الخلاف والتنازع بين المؤمنين وغير المؤمنين في الرسالات السماوية إلى ما قبل رسالة إبراهيم ﷺ ، وبعد ذلك بدأت المرونة في عوامل الزمان والمكان والقوم في الرسالات السماوية الخاصة ببني إسرائيل ، وبدأ التعايش السلمي الهش مع الخلاف بين المؤمنين وغير المؤمنين كما حدث في مصر .

الأرض :

الأرض هي أحد كواكب المجموعة الشمسية ، وفي هذا العصر توفرت الكثير من المعلومات عن المجرات والنجوم والكواكب والمسافات التي تفصل بينها .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأنبياء] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة] .

﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعراف].

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ [طه] .

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة].

خلافة الإنسان على الأرض :

و لو لا أن الأرض تتمتع بمزايا خاصة في هذا الكون الواسع لما صلحت لحياة الإنسان ولما احتاجت لخليفة ، ولقد أعد الله سبحانه وتعالى الإنسان بطريقة مميزة وعلى صورته ليكون خليفته على هذا الكوكب المميز ، كما أن على الخليفة والوكيل : رعايتها وصيانتها وحفظها مما يفسدها ويشينها ، وعمل ما يزينها ويزخرفها ويجملها ، وكانت قدرات الإنسان للقيام ببعض من ذلك محدودة في الماضي ! ولكن صاحب المشروع الإنساني يعلم بأن مسيرة الإنسان ستقوده لتحقيق ذلك في المستقبل وفق خارطة طريق سبق إعدادها ، وفي العصور الأخيرة بدأت تظهر علامات ومؤشرات على تطور في قدرات الإنسان تمكنه من التأثير

السلبي على مستوى الكرة الأرضية بتلوث الجو والأرض والمياه بالكيماويات والغازات والمواد المشعة وغير ذلك ، وستتطور قدرات الإنسان في العقود القادمة مما يمكنه من الزيادة في كل ذلك أو معالجته ، مما يؤدي لتقدير مستوى نجاحه في القيام بأمر الخلافة على الأرض في هذا الجانب ، وسيتواصل هذا الأمر حتى يكتمل عندما تأخذ الأرض زخرفها وتتزين ويظن أهلها أنهم قادرون عليها ، وبعد ذلك تكون نهاية حياة الإنسان على الأرض ، بسبب عجزه عن الاستمرار في القيام بأمر الخلافة ، أو لغير ذلك.

بافتراض تقديرات لمستوى تطور فعالية خلافة الإنسان على الأرض من بداية نزوله عليها وحتى نهاية حياته عليها وعمل رسوم بيانية لذلك ، نجد أنها بدأت من الصفر ، واستمرت فيما يقارب الصفر لآلاف السنين ، وارتفعت النسبة في القرون القليلة الماضية ، وهي في طريقها للمزيد من الارتفاع بعجلة شديدة التسارع في العقود القادمة ،و بما يناظر ذلك مع الرسالات السماوية وتعداد البشر ، نجد أن الجزء الأكبر من ذلك يحدث خلال رسالة الإسلام الخاتمة .

الإصلاح والفساد في الأرض

قد يكون المقصود ب « الأرض » هنا كل كوكب الأرض أو جزء منه ، تسكنه أعداد من البشر ، ونحتاج لتمييز ما هو إصلاح في الأرض أو فساد فيها عما هو دونه من أفعال الخير أو الشر ، وما يكون تأثيره على مستوى الكليات مثل المشروع الإنساني والمسيرة البشرية . . .

مما يؤدي للإصلاح في الأرض : الرسالات السماوية والعلوم والأعمال التي تساعد على استمرار وتطور حياة الإنسان وغيره من المخلوقات على الأرض ، والفساد فيها : كل ما هو نقيض للإصلاح، والتجاهل أو التلاعب بمكونات رسالة الإسلام الخاتمة .

آدم عليه السلام في الأرض :

﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة].

آدم عليه السلام وزوجه هما أول سكان الأرض من البشر ، وهو أول رسل الله، ورسالته لأبنائه ، ومن خصائص رسالته استمرار الإشراف الإلهي شبه المباشر وفض المنازعات على طريقة تقديم القربان وقبوله أو رفضه .

ابني آدم :

﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ۛ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المائدة].

من الآيات (27) إلى (30) : إصرار قابيل على قتل هابيل مع علمه بأن قربانه مرفوض وحجته داحضة ، ومع أن جريمته يمكن تصنيفها اليوم بأنها جريمة قتل ، إلا أنها في ذاك الزمان وتلك الظروف يمكن تصنيفها بأنها فساد في الأرض لارتفاع النسبة المئوية للقتلى بالنسبة لتعداد الأنفس ، وقد يكون ابني آدم خارج نطاق قانون دفع الله الناس بعضهم ببعض حتى لا تفسد الأرض ، لأن المقاومة والدفع في هذه الحالة قد ينتهي بقتل الشقيقين أو إعاقتهما معا .. أو ما يشبه ذلك مما قد يؤدي لتعطيل المشروع الإنساني والمسيرة البشرية أو الانحراف بمساراتهما ، وأصبح قابيل من الخاسرين لفقده الشقيق الذي يشاركه تحمل أعباء الحياة في

تلك الظروف الصعبة ، ولكنه لم يندم إلا من بعد أن عرف بأن الغراب أكثر معرفة منه وخبرة ، ومن الآية (31) : يشير بعث الغراب ليريه دفن جثمان شقيقه المقتول بجهله بكيفية التعامل مع جسد الإنسان الميت ، مما يعني بالضرورة أنه لم يسبق لهما التعامل مع جسد إنسان ميت ، مما يؤكد على أنه وشقيقه أبناء آدم على الحقيقية وليس أحفاده ولا على المجاز ، كما أن ما حدث يشير إلى أنهما من نفس طبيعة الإنسان المعروفة اليوم ، وعندما حدث الخلاف بين الشقيقين لمعرفة حكم الله سبحانه وتعالى فيما تنازعا عليه ، مما يشير إلى عدم وجود مرجعية أو نظام متفق عليه ،تم الاتفاق على تقديم القربان كوسيلة لمعرفة حكم الله ، وذلك بقبول القربان أو رفضه ، وقد قدم كل منهما قربانه بالكيفية المعروفة لديهما والمتفق عليها ، وأما قبول القربان أو رفضه فهو المعجزة والتدخل الإلهي المباشر أو شبه المباشر ، والتي تؤكد على حكم الله سبحنه وتعالى ودينه وشريعته ، وهو المرجعية الدينية لهما وهو حكم الله وشريعته ، وعلى ذلك يكون تعاملهما على مستوى معجزة تقديم القربان وقبوله أو رفضه والتلقي شبه المباشر من الله سبحانه وتعالى هو شكل ومستوى الدين لهما كأمة ، أما التزام الشقيقين بتنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى من عدمه فهو مستوى التدين عند الشقيقين ، أما ما جاء في الآية (32) : فقد تكون المساواة في التصنيف والتقييم بين قتل النفس عند بني إسرائيل مع قتل النفس عند ابني آدم ، بأنها كقتل الناس جميعا ، قد يشير إلى مستوى الأحكام والردع الذي يحتاجه بني إسرائيل .

من هذه البدايات الأولى لحياة الإنسان على الأرض ظهرت بعض ملامح وخصائص الإنسان والمشروع الإنساني والمسيرة البشرية على الأرض ، وقد يتحجج البعض ببدائية الإنسانية في حالة ابني آدم في ذاك الزمان ، ولكن هذه الحجة مردودة على حملة الرسالة الخاتمة ، لأنهم يعلمون بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم ، وبما أن الله سبحانه وتعالى قد منح العلم للشقيق القاتل ، مما قد

يشير إلى أن العلم منحة من الله سبحانه وتعالى لمن يشاء من البشر ، لأسباب منها ما قد نعلمه ومنها ما قد يكون من وسائل وآليات المشروع الإنساني ، ومنها ما قد ينفرد الله سبحانه وتعالى بعلمه .

مما جرى بين ابني آدم ،يمكننا القول بأن أعلى مستويات الإيمان بالله ورسوله لا تكفي لتقويم السلوك وتحقيق الأمن .

بأسباب ما حدث بين ابني آدم واحتمالات تكراره ، يرجح أن تكون الخلافات الدموية هي سبب حركة النزوح والهروب الدائمة للأفراد والأسر ، والتي قد تفسر انتشار البشر في كل بقاع الأرض عندما كانت اليابسة شبه متصلة.

بما تقدم عن ابني آدم يمكننا القول بوجود جانبين أو محورين:

محور الدين والتدين : ويحتوى الدين على المرجعية والمعجزة ، والمرجعية في هذه الحالة هي مكونات رسالة رسول الله آدم عليه السلام ، والتي منها زواج الأخ بغير توأمته ، وتعتمد على الحالة الاجتماعية والمستوى العلمي والمدني والحضاري والمرحلة في المسيرة البشرية .. وغير ذلك ، والمعجزة هي تقديم القربان وقبوله أو رفضه وهو مادياً بالكامل ، أو شبه ذلك ، ويعتمد على الحواس وخاصة البصر ، والتدين هو مستوى الالتزام بتنفيذ التعاليم الدينية ، وأن القتل هو وسيلة الحل الوحيدة لمشكلة الخلاف والنزاع عند من لم يُتقبل قربانه ، وقد يكون من منطق وحسابات هابيل : أنه من الاحتمالات الراجحة لما قد ينتج عن هذا الصراع : موتهما معا ، أو موت أحدهما وإصابة الآخر بإصابات قاتلة ، أو ما شابه ذلك ، ولذلك قد يجد في كل الحالات أنه من الأفضل له في دينه وللأسرة أن يضحي بنفسه.

محور العلم والتعلم : وهو قتل غراب لآخر ودفنه وهو أيضا مادي بالكامل ، أو شبه ذلك ، ويعتمد على الحواس وخاصة البصر ، وأن العلم منحة من الله للصالحين ولغير الصالحين .

محور العلم والتعلم :

العلم : المعرفة ، والتعلم : معرفة مصادرها ووسائل اكتسابها .

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [البقرة].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [فاطر] ، ومن ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ يكون محور العلم والتعلم أحد أهم العوامل التي تتحكم في مستوى معرفة مقاصد الدين ومستوى التدين.

و قد تطور العلم ووسائل اكتسابه وحفظه ونشرة مع تطور المسيرة البشرية من مرحلة اعتمادها على الحواس حتى إلى ما صارت إليه في هذا العصر ،و قد يمكننا القول بأن جانب العلم والتعلم هو الأساس الذي تقوم عليه حياة الإنسان المادية وتطورها على الأرض ، ويتكامل عندهم مع محور الدين والتدين وتطوره، ومع ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ [آل عمران] ، مما يعني أن العلم بغير مناهج وضوابط قد تكون له نتائج سالبة .

***

محور الدين والتدين :

الدين هو ما أنزله الله سبحانه وتعالى على الإنسانية من رسل ورسالات سماوية لعبادته وتقويم مسارهم.

الدين : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات] ، ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [البقرة] ، ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان] .

التدين : هو مستوى معرفة والتزام الفرد والجماعة بتطبيق التعاليم الدينية : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [النور] ، ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران] ، وفي بعض الحالات : ﴿ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [الأعراف] ،قد يمنح الله سبحانه وتعالى بعض من عباده حرية الاختيار والقدرة على التنفيذ لينظر كيف يعملون ، وقد يكون هذا الأمر عام لكل بني آدم ومن خصائص المشروع الإنساني ، وقد يكون في ذلك بعض ما يفسر إرسال الرسل لبعض الأقوام دون آخرين ... .

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف] ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [يونس] ، للإنسان البالغ الراشد الحرية في دخول الإسلام أو رفضه ، ولا خلاف يذكر بين المسلمين في حرية اختيار الإنسان بين الإيمان والكفر ، ولكن توجد خلافات كبيرة وهامة ، ولها ما يبررها ، في تعامل المسلمين مع من يخرج أو يتراجع عن دينه أو يرتد أو يبدل دينه، والتعامل الإيجابي مع مثل هذه الحالة يحتاج للتكامل الديني والعلمي .

الارتباط بين محور الدين والتدين مع العلم والتعلم :

تختلف المعجزة عن المرجعية في كل الرسالات السماوية عدا رسالة الإسلام الخاتمة ، ويتناسب مستوى المعجزة في كل الرسالات السماوية مع مستوى العلم والتعلم حتى في رسالة الإسلام الخاتمة ، وبدأ ظهور الارتباط بين محور الدين والتدين مع محور العلم والتعلم مع بدايات حياة الإنسان على الأرض ، كما جاء في حالة ابني آدم ، ومع أن الإشارة إلي مستوى العلم والتعلم بقتل الغراب ودفنه جاء في تسلسل الأحداث بعد تقديم القربان وما نتج عنه مما قد يؤدي لظن البعض بأن مستوى العلم والتعلم هو المتغير التابع لمستوى الدين والتدين ، إلا أن المتتبع للرسالات السماوية التالية يجدها جميعا تتأسس على مستوى العلم والتعلم، وفي الرسالات السابقة للرسالة الخاتمة كان التغيير يشمل مستويات العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية وكان الارتباط بينهما مؤقتا ، وقد بدأ التطور في محور العلم والتعلم من الاعتماد على الحواس خاصة البصر كما في حالة قتل الغراب ودفنه واستمر التطور حتى تأهلت البشرية لرسالة خاتمة كانت معجزتها ومرجعيتها نصوص ومكونات محددة وثابتة ، مما يعني تحديد وثبات محور المعجزة والمرجعية، وفي نفس الوقت تتواصل مسيرة تطور وتغيير محور العلم والتعلم والتي كان يتبعها في الرسالات السابقة تطور مناظر في المعجزة ، وهو ما لن يحدث في الرسالة الخاتمة ما لم تتضمن نصوص ومكونات محور المعجزة والمرجعية قدرات وآليات تؤهلها لتحقيق الارتباط بين محور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والذي سيكون متحركا مع مستوى التطور في محور العلم والتعلم ، مما يعني بالضرورة أنه بعد أن بلغ مستوى تأهيل وتطور وتأثير محور العلم والتعلم في حياة البشر ما هي عليه الآن والتطورات الكبرى الجارية ، ستحتاج نصوص ومكونات رسالة الإسلام الخاتمة ، حتى تكتمل قدراتها وصلاحيتها وإلزامها ، إلى إعادة بحث ودراسة على أعلى مستوى مستطاع لخصائص وإعجاز هذه المكونات والنصوص لتحقيق الارتباط المتحرك بين

العلم والتعلم والدين والتدين، حتى يرتفع مستوى فهم ومعرفة وتأويل النصوص الدينية و تطبيقها بما يتناسب مع حاجات وقدرات إنسان هذا العصر.

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [التغابن] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف] ، تكليف الله سبحانه وتعالى لعباده بما يتناسب مع سعة أنفسهم ، وتقواه مقيدة بمستوى الاستطاعة ، وبما أن سعة الأنفس والاستطاعة متغيرات ، فكذلك يكون مستوى التكليف والتدين متغير تابع ، مما يستوجب مواصلة البحث والدراسة الدائمة عن مستوى الطاعة المطلوبة بما يتناسب مع الاستطاعة المتوفرة ، وأن مستوى ارتباط محور العلم والتعلم مع محور الدين والتدين هو الذي يشكل مستوى وشكل الطريق الذي يفترض أن يسلكه المؤمنون بربهم وبرسالتهم ، وهو ما قد يمكننا القول بأنه : الصراط المستقيم.

الصراط واستقامته :

الصراط أو السبيل أو الطريق هو :الطريق الذي يسكه من يريد ليبلغه ما يريد ، والطريق المستقيم هو أقصر مسافة تصل بين نقطتين.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [آل عمران] .

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ ﴾ [مريم] ، وقد تكون سويا هنا مرادفة لمستقيم ، أو تشتمل على جوانب أخرى .

﴿ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ ﴾ [هود] ، ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [النحل] .

والله سبحانه وتعالى على صراط مستقيم ، وذلك على مستوى علمه وقدرته

وحكمته ، ولذلك فإن استقامة صراط الله سبحانه وتعالى مطلقة وكاملة ودائمة ، وعلى الإنسان الإيمان بها والانقياد لها ، أما مستوى استقامة صراط الإنسان فهي نسبية مثلها وقدرته وحريته وإرادته وخلوده ..، ولذلك فهي متغير تابع لمستوى ارتباط الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ، ومع المرحلة التي هو فيها ، وهي التي تتحكم في مستوى الطاعة المطلوبة من الإنسان .

مما جاء عن ابني آدم : أن العلم والتعلم بقتل الغراب ودفنه يعتمد على الحواس وخاصة البصر ، وكذلك الدين والتدين وهو تقديم القربان وقبوله أو رفضه ، وهو يعتمد على الحواس وخاصة البصر ، وعلى ذلك تحدد شكل ومضمون استقامة الطريق ، وعليه قد يمكننا القول بأن شكل ومستوى ومضمون استقامة الطريق يعتمد على شكل ومستوى العلم والتعلم ، وعلى شكل ومستوى الدين والتدين ، وفي هذه الحالة : من تقبل قربانه فهو على الصراط المستقيم ومن لم يتقبل منه لم يكن على الصراط المستقيم ، أما الالتزام به من مخالفته فهو مستوى التدين ، ويلاحظ أن فقدان البصر يعتبر إعاقة شبه كاملة في تحديد مستوى استقامة الصراط في حالة ابني آدم ، لاعتمادهما على الحواس ، خاصة البصر ، وعندما تقدم العقل على الحواس والسمع على البصر في العلم والتعلم والدين والتدين في رسالة الإسلام الخاتمة، فقد يشكل فقدان السمع مستوى من الإعاقة أكثر مما يسببها فقدان البصر .

و على ذلك يمكننا القول بأن مستوى استقامة الصراط متغير تابع تتحكم فيه عوامل أخرى منها : مكونات الرسالة السماوية سارية المفعول ومستوى التطور العلمي والحضاري والمدني ووسائل وآليات البحث والاستنباط والدراسة.. .

الإعداد المسبق للمسيرة البشرية :

جاء عن بدايات تنفيذ المشروع الإنساني والمسيرة البشرية في سورة الأعراف :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ ، مما يؤكد على وجود حياة للإنسان قبل هذه الحياة وشهادة على نفسه بذلك سيقر بها ويحاسب عليها يوم القيامة ، وفي سورة الأحزاب : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ ، مما يدل على أن الإنسان حمل الأمانة بإرادته الحرة في حياته الأولى ، و مع أن مقر خلافة الإنسان هو الأرض إلا أن علم الله سبحانه وتعالى وحكمته اقتضت أن تبدأ حياته في الجنة:

﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأعراف] ، ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه] ، ومع مواصفات الجنة المعلومة للذين آمنوا ، وهي أعلى طموحاتهم في الدار الآخرة وحياتهم الأبدية ، إلا أن الشيطان أغواه وأطمعه فيما صوره له بأنه أعظم منها ، وهو شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى ، وإذا تسببت أوهام شجرة الخلد والملك الذي لا يبلى في خروج آدم وزوجه من الجنة وغوايته وعصيان أمر ربه الذي خلقه وأكرمه وسواه بيده ونفخ فيه من روحه وحذره من عدوه .. فما أعذره لأبنائه وأسرته من بعده في كل ما يفعلون ويتركون ،

وما أهون أمر ذريته من بعده عند شياطين الإنس والجن وأتباعهم ، وقد تأكد ذلك فيما جرى بين ابني آدم مع بدايات المسيرة البشرية على الأرض ، ولكن ، ومع كل ذلك : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحديد] ، وعن نهايات المسيرة البشرية على الأرض : ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس] ، مما يؤكد على الإعداد المسبق للمسيرة البشرية من بداياتها وحتى النهاية.

الجبر والاختيار :

الإعداد المسبق للمسيرة البشرية وأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يريد يقودنا لمسألة الجبر والاختيار التاريخية المعروفة ، ولا نريد الخوض في ذلك ، ونكتفي بأن الله سبحانه وتعالى كتب على نفسه العدل والرحمة وأنه على صراط مستقيم ، وما ربك بظلام للعبيد ، ولا بغافل عما تعملون .

الرسالات السماوية :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الذاريات] ، ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص] .

﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس] ، ﴿ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف] .

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان بمواصفات وقدرات خاصة على خلاف ما عليه المخلوقات الأخرى التي سبقته في الحياة على الأرض ، وجعله خليفته فيها ، وللقيام بأمر نفسه وعبادة ربه وخلافته على الأرض يحتاج للمعلومات والتوجيه والمراقبة من خالقه ، وذلك عن طريق اختيار الله سبحانه وتعالى لبعض الأفراد من البشر وتكليفهم بحمل أمانة التبليغ عنه .

تتأسس الرسالات السماوية على المرجعية والمعجزة ، والمرجعية هي مكونات الرسالة التي ينزلها الله سبحانه وتعالى على رسوله ، ومنها : الإيمان بالله واليوم الآخر وطاعة الله وطاعة الرسل ، والمعجزة هي الأمر الخارج عن المألوف الذي يستدل به الرسول على أن ما جاء به الرسول هو من عند الله سبحانه وتعالى ، ويعلم الله سبحانه وتعالى متى وأين وكيف ولماذا وعلى من ينزل رسالاته ، ومع أن اختيار الرسل يتم بإعداد وعلم من الله سبحانه وتعالى ، ومع ذلك تظل توجيهات ومراقبة الله سبحانه وتعالى اللصيقة لهم ، بما قد يصبح أو يكاد أن يكون تحذيرا وتهديدا في بعض الحالات : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة] ، ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ [ص] ، ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء] ، ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ [عبس] ، ﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الحجر] .

﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء] .

و بما أن المسيرة البشرية قد سبق الإعداد لها ، يبدو أنه من ضمن هذا الإعداد

المسبق الترتيب المنظم للرسالات السماوية مع مراحل المسيرة البشرية وتطورها، وكانت البداية برسول الله آدم ﷺ والنهاية برسالة الإسلام الخاتمة ، على الرسول محمد ﷺ.

جاء في القرآن الكريم عن أوقات وأماكن وأقوام بعض الرسالات السماوية ، وقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى وحكمته أن يخص بها بعض الأقوام في بعض الأماكن وفي هذه الحالة تنال حظها من التدين ، وحظها من العلم وبوجود رسالات سماوية أو بغيره ، فقد نالت مختلف المجتمعات الإنسانية في مختلف بقاع الأرض حظها من التطور العلمي والمدني والحضاري بأساليب ومستويات مختلفة ومتفاوتة ، ومن ذلك الإنجازات اليونانية والرومانية والفارسية والمايا وغيرها ، في الأراضي القديمة والجديدة ،التي حققوها في العلوم والآداب والفلسفة والفكر والفنون والسياسة ... قبل قرون من رسالة عيسى ﷺ ، وقد نحتاج ونستفيد من المقارنة بين الحالتين تاريخيا وفي وقتنا الحاضر ، ونحن نعلم بأن : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإسراء].

استمرت وتتابعت وتطورت مكونات الرسالات السماوية مع تزايد عدد الأنفس المستهدف ، وفترة الصلاحية الزمنية للرسالة ، وتطور محور العلم والتعلم والتقدم المدني والحضاري ، وبناء على هذا التطور والتدرج الذي انعكس على مستوى التعايش السلمي في مراحل الرسالات السماوية المختلفة ، يمكننا تقسيمها إلى :

مرحلة رسول الله آدم عليه السلام : وهي مرحلة سيطرة شبه كاملة للحواس ،

خاصة البصر ، في تشكيل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ، وفيها كانت صعوبة التعايش السلمي حتى بين الأشقاء المؤمنين.

الرسالات ما بعد فترة آدم وحتى إلى ما قبل رسالة رسول الله إبراهيم : استمرار الغلبة لفعاليات الحواس خاصة البصر في تشكيل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ، صعوبة في التعايش السلمي بين المؤمنين والكافرين، وغالبا ما تكون النهاية بنجاة المؤمنين وهلاك الكافين بمعجزة إلهية.

رسل بني إسرائيل : من رسول الله إبراهيم وحتى رسول الله عيسى ، وهي المرحلة الأولى من رسالة الإسلام الكبرى ، ووعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين برسالة الإسلام الكبرى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [البقرة]، و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأنعام] ، على ذلك قد يمكننا القول بأن تفاضل وتمايز المؤمنين بالله واليوم الآخر من كل أتباع الرسالات السماوية ينبني على عمل الخير وتفاضلهم في القيام بصالح الأعمال .

و بعض مما جاء في القرآن عن المسلمين :

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم] .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة] .

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر] .

﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨ ﴾ [الحج] .

﴿ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ١٢٦ ﴾ [الأعراف]، وفيها نزلت الصحف ، والتوراة كأول الكتب السماوية ، وحدث قدر من التطور الايجابي في التعايش السلمي بين جماعات المؤمنين ، والتعايش السلمي الهش بين الأقلية المؤمنة والأكثرية الكافرة، وقد تحقيق في هذه المرحلة ما يشبه التوازن ما بين فعاليات الحواس والعقل في التحكم في تشكيل محاور العلم والتعلم والمعجزة والمرجعية والدين والتدين ، وظهرت في هذه المرحلة الممالك والإمبراطوريات ، وكان رسل الله سليمان وداوود ملوكا على بني إسرائيل ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ٧٩ ﴾ [الأنبياء] ، وختمت هذه المرحلة برسالة رسول الله عيسى صلى الله عليه وسلم والإنجيل ككتاب ثاني مقدس لأتباعه النصارى، ومع أنها تتبع لنظام الارتباط الجامد بين مستوى الدين والتدين مع مستوى العلم والتعلم ، إلا أن ذلك لم تكن له آثار سالبة عليها ، لأنها تتأسس على الدين والتدين كقيم وسلوك فردي ، وما لله لله وما لقيصر لقيصر ، مما يعني أنها لا تتأثر بالتطور العلمي والمدني والحضاري ، كما يعني الفصل بينها والأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. للمجتمع، ولكن البشرية أصبحت في حاجة متزايد لتحديث أنظمتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ... ،لتلبي حاجات المجتمعات الإنسانية في مراحل المسيرة البشرية التالية، لذلك أصبحت في حاجة لتحديث وتطوير مستوى وشكل ومضمون الأعمال الصالحة ، وهو ما تحقق في

رسالة الإسلام الخاتمة ونظام الحكم فيها .

و عن مستوى ارتباط الدين والتدين مع العلم والتعلم وما ينجم عنه من مستوى استقامة الصراط في الرسالات السماوية في تلك الفترات :كان الارتباط محددا ومحصورا ومتباعدا في فترة الرسالة السماوية سارية المفعول لضعف مستوى وعجلة تسارع التطور العلمي والمدني والحضاري ، وكذلك كانت استقامة الصراط النسبية ، وتغير كل ذلك بحلول وقت رسالة الإسلام الخاتمة .